المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

العلاقة بين التنظير النفسي والإبداع الأدبي: العقاد أنموذجاً

The Relationship Between Psychological Theorizing and Literary Creativity: Al-Aqqad as a Model

بقلم الدكتور

مصطفى محمد تقي الله بن مايابا

أستاذ النقد والأدب المقارن ـ قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية

الجزء الثاني (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

العلاقة بين التنظير النفسي والإبداع الأدبي: العقاد أنموذجاً

تم تمويل هذا المشروع من قبل برنامج التمويل المؤسسي بموجب المنحة رقم (IFPAS-2-125-1443). لذلك، يتقدم المؤلفون بالشكر والامتنان للدعم الفني والمالي المقدم من وكالة البحث والابتكار بوزارة التعليم وجامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية .

بسم الله الرحمن الرحيم

العلاقة بين التنظير النفسي والإبداع الأدبي: العقاد أنموذجاً

مصطفى محمد تقي اللّه بن مايابا

قسم النقد والأدب المقارن ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : mmayaba@kau.edu.sa

الملخص

يعد الناقد الأدبي والشاعر عباس محمود العقاد (ت. ١٩٦٤م) من أهم رواد المنهج النفسي في دراسة الأدب الذي يحلل الأدب من زاوية نفسية تراعي ذات الأديب، وتربط مضمون العمل الأدبي بنفسية كاتبه. وقد ناقش العقاد في مؤلفاته الأبعاد النفسية لمدح السلطة السياسية، ووجه الشاعر لمراعاة ذاته في المديح قبل مراعاة نفسية الممدوح ورغباته. وفي هذا السياق، تقارن الدراسة بين رؤية العقاد النظرية المتعلقة بالأبعاد النفسية المرتبطة بعناصر التواصل الأدبي في قصيدة المدح حيث يكون الشاعر مرسلًا، والممدوح مستقبلًا، والقصيدة ذاتها رسالة –من جهة– وبين تطبيقه لتلك الرؤية في إبداعه الأدبي في مدائحه للحكام والملوك، من جهة أخرى. وقد اختيرت قصيدة "أسد العرين" التي يمدح فيها العقاد الملك عبد العزيز (ت. ١٩٥٣م) لتكون أنموذجًا يوضح مدى الانسجام بين رؤية العقاد النظرية وتطبيقه الأدبي لتلك الرؤية. ويستخلص من تحليل القصيدة التزام العقاد في قصيدته –إلى حد كبير– بالمعايير النفسية والأدبية المرتبطة بعناصر الاتصال الأدبي التي اقترحها على شعراء مديح السلطة.

الكلمات المفتاحية: المنهج النفسي، الإبداع الأدبي، قصيدة المدح، الملك عبدالعزيز.

The Relationship Between Psychological Theorizing and Literary Creativity: Al-Aqqad as a Model

Mustafa Muhammad Binmayaba
Department of Criticism and Comparative Literature,Department of Arabic Language and Literature,King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia
Email: mmayaba@kau.edu.sa

Abstract

The literary critic and poet Abbas Mahmoud al-Aqqad (d. 1964 AD) is considered one of the most important pioneers of the psychological approach in the study of literature, which analyzes literature from a psychological angle that considers the personality of the writer and links the content of the literary work to the psychology of its writer. In his writings, al-Aqqad discussed the psychological dimensions of praising political power and directed the poet to consider himself in praise before considering the psychology and desires of the patron. In this context, the study compares al-Aqqad's theory related to the psychological dimensions associated with the elements of literary communication in the poem of praise, where the poet is the messenger, the patron is the receiver, and the poem itself is a message -on the one hand- and his application of that vision in his literary creativity in his praises of rulers and kings, on the other. The poem of "The Lion of the Lair", in which al-Aqqad praises King Abdul Aziz (d. 1953 AD), was chosen as a model that illustrates the extent of harmony between al-Aqqad's's theory and his literary application of that theory. From the analysis of the poem, it is concluded that al-Aqqad's's is committed in his poem, to a large extent, to the psychological and literary standards associated with the elements of literary communication that he suggested to poets praising power.

Keywords: Psychological approach, literary creativity, praise poem, King Abdulaziz.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

لقد تطورت علاقة الشاعر المادح بالسلطة على مر التاريخ العربي، ومرت تلك العلاقة بمراحل كان فيها الشاعر مثل التاجر الذي يعرض بضاعته على الناس، فكان يعرض بضاعته الشعرية على الخليفة أو الوزير ليثبت شرعية ذلك الخليفة أو الوزير مقابل الحصول على المال والجاه. وقد كان الشاعر المادح والخليفة الممدوح يدركان دور قصيدة المدح وأهميتها السياسية، وكانت هذه القصيدة تشكل -كما ترى سوزان ستيتكفيتش- "بوصفها شفرة حاملة لإيديولوجية إسلامية وناقلة لها وبوصفها علامة على السلطة السياسية(العربية) الإسلامية عامل حاسم في تفوق هذا النوع الشعري في الأدب العربي".[١] وكان الشعراء يتنافسون في بلاط الخلفاء والوزراء؛ ليؤدوا وظيفة المدح غير الرسمية ويحصلوا في مقابل كل قصيدة على المال والهبات. وقد تطورت تلك الوظيفة على مر العصور حتى غدت في مطلع القرن العشرين وظيفةشبه رسمية يمدح فيها الشاعرالسلطة ويتقاضى راتباً،وكانت المهارة الشعرية من أهم مهارات السفير في تلك الفترة.[٢]

---

(١) سوزان ستيتكفيتش، القصيدة والسلطة: الأسطورة الجنوسة والمراسم في القصيدة العربية الكلاسيكية، ترجمة: حسن البنا عز الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص.١١٤.

(٢) تحولت وظيفة الشاعر في قصر الأمارة في مطلع القرن العشرين إلى وظيفة "تجمع بين نظم الشعر لمناسباته ومواسمه، وبين منادمة الأمير في مجالسه وسهراته" (عباس محمود العقاد، رجال عرفتهم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص.٧١). وكان الخديوي عباس (ت. ١٩٤٤م) -على سبيل المثال- يعتمد على الشاعر إبراهيم المويلحي (ت. ١٩٠٦م) "للسفارة بينه وبين ولاة الأمر في الدولة العثمانية" (العقاد، رجال عرفتهم، ص.٧١). وقد أوشك المويلحي -كما ينقل العقاد- أن يُعيّن على وظيفة (شاعر الملك) "لولا اعتراض المحتلين على تقرير هذه الوظيفة في الميزانية؛ لأن النظام المالي في حكومات العصر الحديث لا يعرف عملًا يسمى عمل الشاعر أو النديم الخاص بمجالس الملوك والأمراء" (العقاد، رجال عرفتهم، ص.٧١).

وقد عاصر الناقد والشاعر عباس محمود العقاد (ت. ١٩٦٤م) بدايات القرن العشرين التي برز فيها الدور السياسي لقصيدة المدح على يد مجموعة من أدباء الإحياء، فساهم في نهضة تلك القصيدة من خلال مدائحه للملك فاروق (ت. ١٩٦٥م). وتشير قصائد المدح في دواوينه إلى أنه جمع بين وظيفته الرسمية بوصفه عضواً في مجلس النواب وعضواً في عدد من البعثات الدبلوماسية المصرية إلى ملوك ورؤساء الدول الأخرى –من جهة– وإيمانه القومي بقضايا المجتمع والأمة العربية، من جهة أخرى. وقد حاول العقاد أن يؤسس لرؤية مختلفة لقصيدة المدح تخالف أسلوب شعراء المديح في العصر العربي القديم الذين كانوا –في الغالب– يراعون عنصرًا واحدًا في عملية الاتصال هو الممدوح المستقبل للقصيدة، فيضمِّنوا مدائحهم ما يعجب الممدوح ويطرب له ويتحاشوا ما يخالف هواه. ويسعى البحث في جانبيه النظري والتطبيقي إلى إثبات أن العقاد سار في اتجاه مختلف عن سابقيه ليراعي في قصيدته كل عناصر الاتصال وفي مقدمتها القصيدة (الرسالة) ثم ذاتيته (المرسل) ثم المستقبل (الممدوح) ثم سياق الاتصال بعنصريه: الزمان والمكان، وبنوعيه: الخاص (زمان ومكان استقبال الرسالة أو القصيدة) والعام (الظروف السياسية العامة)،[١] بحيث يركز على كل هذه العناصر في قصيدته. ويتضمن البحث مقدمة نظرية وتحليلاً تطبيقيًا وخاتمة متبوعة بقائمة الهوامش على النحو الآتي:

(١) للاستزادة حول علاقة عناصر الاتصال بالأدب ينظر: مراد عبد الرحمن مبروك، النظرية النقدية: نظرية الاتصال الأدبي وتحليل الخطاب، دار الأدهم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥م.

• المقدمة: تشتمل على ذكر موجز لـــ"طبيعة تحديات قصيدة المدح عند العقاد" في ضوء عناصر الاتصال متبوعًا بتوضيح لـــ"هدف البحث ومنهجه"، و"أهمية البحث"، و"الدراسات السابقة".

• التحليل: يُفتتح هذا الجزء من البحث الذي يركز على تحليل قصـــيدة "أسد العرين" بموجز عن "السياق التاريخي للقصيدة"، ثم ســـرد لـــــ"مناسبة القصيدة"، ثم "تحليل لأقسام القصيدة".

• الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها التحليل.

• الهوامش

طبيعة التحديات النفسية المرتبطة بقصيدة المدح في رؤية العقاد:

تحدث العقاد في مؤلفاته عن عدد من التحديات ذات الطبيعة النفسية المرتبطة بعناصر الاتصال في قصيدة المدح، منها ما يتعلق بالرسالة (القصيدة)، ومنها ما يخص الشاعر المادح (المرسل)، ومنها ما يرتبط بالممدوح (المستقبل)، ومنها كذلك ما يتعلق بالمجتمع والأمة (السياق العام). وأشار العقاد في مؤلفاته بإيجاز إلى رؤيته الخاصة بهذه التحديات المرتبطة بعناصر الرسالة، والمرسل، والمستقبل، والسياق في قصيدة مدح السلطة. واتخذ العقاد موقفا يتعلق بالتحديات الخاصة بكل عنصر من عناصر التواصل الأدبي.

فعلى المادح في رأي العقاد أن يبتعد في قصيدته عن أسلوب المبالغة الذي يعده العقاد من عيوب الشعر التي تعكس حال الأمة، فـ"لن يقال إن الأمة متعلمة والمبالغات الشعرية فيها تؤخذ مأخذ الجد والوقار، وهي أقرب الى الهزل والهجاء المستور".(١) والمبالغة والشطط أول عيوب الشعر عند العقاد؛ "لأن كثرة الممدوحين والمادحين تدعو إلى التسابق في تعظيم شأن الممدوح، وتفخيم قدره، وتكبير صفاته والإرباء بها على صفات الممدوحين قبله".(٢) وقد نتج عن المبالغة في المدح أنه "لا يقنع الشاعر ولا الملك أو الأمير بالقصد في الوصف، والصدق المألوف في الثناء، ويجر ذلك إلى التفنن في معاني المدح وغير المدح؛ لأن المبالغة الساذجة لا ترضى في كل

(١) عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضي، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٣٧م، ص.١٩.

(٢) عباس محمود العقاد، مطالعات في الكتب والحياة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص.١٢.

حين، ولا بد من شيء من التنويع واللباقة يسوغون بـه هـذه المبالغـات المتكررة".[١] فالمبالغة في المدح -في رؤية العقاد- هي بداية التحول مـن شعر الطبع الذي يعكس -في الغالب- ذاتية وطبع الشاعر إلى شعر الصنعة الذي يخرج فيه الشاعر عن طبعه.

ومن أهم التحديات المرتبطة بالشاعر المـادح (المرسـل) -فـي رأي العقاد- أن يعبّر عن ذاته وأن يكون صادقاً في مدحه، فـ"الشاعر العصـري يعاب على مديحه إن كان يثنى على الممدوح بما ليس فيه، وبما يعلم أنـه ليس فيه، مستجديًا رفده، مغالطاً نفسه وقومه. لكنـه إذا أحـس الإعجـاب برجل عظيم، فصدق في الإعـراب عـن إحساسـه بعظمتـه، فهـو أجـدُّ المجددين".[٢] فقد يكون المادح مجددًا وقد يكون مقلداً، والفرق بين المادحَين -في رؤية العقاد- يرتكز على عامل من خارج النص يتمثل في دافع المدح وصدقه، فإن كان الشاعر مؤمنًا بصدق رسالته وبما يقول فيها فهو مجـدد، وإن كان متكسباً بشعره وغير صادق في مدحه فهو مقلد. ويرى العقاد أنـه "لن يقال إن للأدب مكانًا فى الأمة، والشاعر مضطر فيها إلـى إذلال عقلـه وتسخير كرامته في مديح لا تسيغه العقول ولا يليق بالرجل الحر المريد لما يقول".[٣]

ولا يتنافى معيار الذاتية عند العقاد مع قصيدة المـدح، فـإذا تحـدث الشاعر عن ذاته في قصيدته فلا ضير أن يمدح أحدًا بتلك القصـيدة. مثـال ذلك -في رأي العقاد- المتنبي (ت. ٩٦٥م) الذي كان يمدح بشعره، ولكنـه

(١) العقاد، مطالعات في الكتب والحياة، ص.١٣.

(٢) عباس محمود العقاد، ديوان بعد الأعاصير، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٧.

(٣) العقاد، شعراء مصر، ص.١٩.

شذّ عن غيره من المتكسبين؛ لأنه كان "يستعظم نفسه على الشعر أو على التكسب بالمدائح والزلفى من الملوك والأمراء، وكان يرى أنه خُلق لما هو أجل وأرفع من ذلك وهو الملك والقيادة، فلا يبالي أن يطول على ذوي السلطان بهذا الاعتقاد في قصائده التي يمدحهم بها".(١) وإذا كانت حرية الشاعر الرسمي مقيدة بما يرضي السلطة وهو ما يحد بشكل مؤثر من ذاتيته، فإن تلك الحرية من ضروريات أدائه لوظيفته القومية. وعلى الشاعر أن يكون حرًا في مدحه كما هو حر في غزله ووصفه وهجائه، وتعد تلك الحرية في المدح معيارًا جوهريًا لقصيدة المدح في رؤية العقاد، فـ"الشاعر الذى يملك أمره يتبع في مدحه أسلوباً غير الذى يتبعه شاعر مغلوب على أمره".(٢)

وفي هذا السياق المرتبط بحرية الشاعر وذاتيته يبرز تساؤل ملح يتعلق بسبب اختيار الشاعر الحر لشخصية الممدوح المستقبل للقصيدة وإعجابه بها. وقد أشار العقاد إلى هذا المعنى في تحليله للمدح في زمن ابن الرومي (ت. ٨٩٦م) قائلاً: "لو كان للمدح في زمن ابن الرومي بواعث نفسية غير طلب العطاء لوجب أن نعنى بتراجم الأشخاص الذين حركوا في نفس الشاعر تلك البواعث، واستحقوا منه إكباره وثناءه؛ لأن العناية بتراجمهم في هذه الحالة عناية بالشاعر نفسه، وبواعث نظمه، ومعايير وصفه وثنائه".(٣) وبعد أن يمارس الشاعر حريته في اختيار الممدوح يتحول إلى تحدٍ آخر يرتبط بذلك الممدوح وأسلوب إرضائه.

---

(١) العقاد، مطالعات في الكتب والحياة، ص.١٣١.

(٢) العقاد، شعراء مصر، ص.١٩.

(٣) عباس محمود العقاد، ابن الرومي، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م، ص.١٩٥.

إن إرضاء الممدوح (المستقبل لقصيدة المدح) مهمة معقدة تتطلب من الشاعر (المرسل) أن يكون عارفاً بشخصية الممدوح؛ لأن للأخير شخصية مستقلة تختلف عن شخصية المادح، فـ"كل ممدوح كائن حي من مجد ومنعة وجود ومطاولة بالغلبة والعطاء، وكل مادح كائن حي بما استجاشه من طمع، وما استقبله من أمل، وما خلفه وراءه من عطف وحنين".[١] ومعرفة شخصية الممدوح من ضروريات نجاح قصيدة المدح؛ لأن له تأثيرًا مباشرًا على القصيدة، فالشاعر يراعي في قصيدته ما تطلبه ذاته وذات الممدوح.[٢] وتتجلى أهمية حضور شخصية الممدوح في القصيدة في أن ذلك الحضور –في نظر العقاد– يؤسس للتفريق بين صور الممدوحين في قصائد المديح، ويشير تعدد تلك الصور إلى انعكاس شخصياتهم في القصيدة.

وفي هذا السياق المرتبط باختلاف شخصيات الممدوحين، سخر العقاد من أسلوب الشعراء المقلدين في تصوير الممدوح، وتكرارهم لصور جاهزة دون ابتداع وابتكار حيث يقول: "فما علمنا من فرق بين شعرائنا الذين يصفون العظيم في كل حالة بأنه كالشمس والقمر، وبين الطفل الذي يمدح كل ما يعرفه بأنه كالسكر، فالمدرسة سكر، والكتاب سكر، وأبوه سكر، وبيته سكر [...] ولا اختلاف بين امرى وامرى، ولا بين حالة وحالة في جميع

(١) عباس محمود العقاد، ذو النورين، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٣م، ص.٥٤.

(٢) مصطفى محمد بن مايابا، المتلقي الفعلي وتأثيره في بنية النص الأدبي: تحليل لرائية جرير في ضوء شعرية التفاوض،
مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، ع.٣٢، ص–ص. 245 – 231.

هذه الأوصاف".[١] وكأن العقاد يرشد الشاعر المادح (المرسل) إلى البحث في ذات الممدوح (المستقبل) وتصويره من الداخل والكشف عن الجوانب الإنسانية في شخصيته. فلو مُدح الجميع بالكرم والشجاعة والإقدام وغيرها من خصال المدح فلن يتميز ممدوح عن الآخر، و-في رأيه- "إذا امتدح شعراء العصر جميعًا وزراء العصر جميعًا، فليس أمامنا غير وزير واحد تتكرر شمائله وأعماله في كل قصيدة بمختلف العبارات والأساليب".[٢] وقد كان هذا حال قصائد المدح حتى قبيل الثورة العرابية (١٨٧٩م-١٨٨٢م) حيث بدأ يظهر -في رأي العقاد- "الشعر الذي يقوله «شخص» له شعوره المستقل وتقديره الخاص لمعاني المديح [...] الذي يُقال في ممدوح مميز بطابعه الحي الذي لا يختلط بغيره من الممدوحين".[٣]

ومن التحديات التي تواجه الشاعر المادح في رأي العقاد ما يتعلق بالسياق العام للاتصال الذي يشمل المجتمع والأمة، ففي كل أمة كان الشعراء يقصدون الأمراء وعلية القوم لمدحهم، لكن -في رأي العقاد- "لا ترى مدحًا كهذا المدح الفردي المفتوح إلا في الشعر العربي، حيث لا يرضي المادح أميره إلا إذا وصف شخصه، وأطنب في وصفه بأحب الصفات إليه، كما يفعل الطفل حين يمدحك، ويمد يده إلى السكرة التي في يدك".[٤]

---

(١) عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، الديوان في الأدب والنقد، دار القلم، بيروت، ٢٠١٩م، ص.١٢٣.

(٢) عباس محمود العقاد، دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص.١٥.

(٣) العقاد، دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، ص.١٥.

(٤) عباس محمود العقاد، ساعات بين الكتب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص.٤٤٦.

فالشاعر في المدح الفردي -كما يرى العقاد- "لا يكتم عنك أنه يقول الكلمة الطيبة ليأخذ على أثرها السكرة الحلوة، فلا لباقة ولا تفنن في الإرضاء والثناء، وإنما هو المديح على أسذج ما تراه في طفولة الفطرة".(١) وترتبط حرية الأمة عند العقاد بطبيعة الممدوحين في شعرها، وبطبيعة الخصال المنسوبة لأولئك الممدوحين، فـ"لن يقال إن الأمة حرة تشعر بوجودها وأنت تقرأ مدائح شعرائها، فلا ترى ذكرًا لغير الرؤساء، ولا ترى في الصفات التي يمدحون بها صفة ترجع إلى الأمة، وتعتمد على تقديرها، يستفاد من خدمتها والعمل بمشيئتها".(٢) من هنا، يتجاوز معيار الحرية في المدح في أهميته عند العقاد حدود الفرد (السياق الخاص) ليعبر عن المجتمع والأمة (السياق العام).

فعلى الشاعر – في رؤية العقاد- أن يختار من صفات الممدوح ما يخدم الأمة ويفيدها، فـ"المجتمع يستفيد من القصيدة [قصيدة المدح] أنها تحيي فيه أخلاقاً لاقوام له بغيرها في قيادته وسياسته ومعاملاته المتبادلة بين أفراده. وتلك هي أخلاق الشجاعة والرأي والحزم والكرم والمروءة والحياء، وشمائل النبل والفداء".(٣) واستشهد العقاد في هذا السياق بقول أبي تمام (ت. ٨٤٥م):

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة الغلا من أين تؤتى المكارم(٤)

---

(١) العقاد، ساعات بين الكتب، ص.٤٤٦.

(٢) العقاد، شعراء مصر، ص.١٩.

(٣) عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م، ص.٩٣.

(٤) إيليا الحاوي، شرح ديوان أبي تمام، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨١م، ص.٥٠٢.

ليؤكد أن ما ذكره أبو تمام في بيته "على التحقيق هو «دور» الشعر في بناء المجتمع، والمحافظة على قوامه وأسس تكوينه والدفاع عنه".[١] وامتدح العقادُ ذو النزعة الرومانسية حافظَ إبراهيم (ت. ١٩٣٢م) على الرغم من انتماء الأخير لمدرسة الإحياء الكلاسيكية؛ لأنه "يمثل أمته في مديحه كما يمثلها في قصائده الاجتماعية، فهو مديح يدل على مراحل الأدب والحرية القومية في الأمة المصرية مرحلة بعد مرحلة، وبهذه الخصلة أيضاً كان حافظ متفردًا بين شعراء جيله قليل النظير".[٢] ومن دلائل أهمية الدور الذي قد يقوم به شاعر المدح لخدمة الأمة والمجتمع في رؤية العقاد أن شعر المديح كما يقول: "من أفضل المقاييس لقياس حالة الأمة والشاعر والأدب في وقت واحد".[٣] فلا خلاف –كما يرى العقاد– في دور المدح في خدمة الأمة، لكن "الخلاف في نوع المديح لا في موضوعه على إطلاقه. فمديح الأمم المتعلمة غير مديح الإمام الجاهلة".[٤]

- **هدف البحث ومنهجه**:

في ضوء رؤية العقاد النقدية لطبيعة التحديات المرتبطة بقصيدة المدح، يركز البحث على الأسلوب الذي اتبعه الشاعر العقاد في تجاوز هذه التحديات في مدائحه للملوك والوزراء. ويتّبع البحث منهجًا تحليليًا يهدف إلى تحليل قصيدة "أسد العرين" التي يمدح فيها العقادُ الملكَ عبد العزيز (ت. ١٩٥٣م) بوصفها أنموذجًا يوضح الأسلوب الذي اتبعه العقاد في مراعاة

(١) العقاد، أشتات مجتمعات، ص.٩٣.

(٢) العقاد، شعراء مصر، ص.١٩.

(٣) العقاد، شعراء مصر، ص.١٩.

(٤) العقاد، شعراء مصر، ص.١٩.

عناصر الاتصال (المرسل، والمستقبل، والرسالة، والسياق أو بيئة الاتصال، والشفرة) في مدحه؛ ليكون مدحاً منتجًا يصدق فيه الشاعر في التعبير عن ما يؤمن به، ويكون هادفاً، ويختار فيه من صفات الممدوح ما يناسب السياق العام المرتبط بالمجتمع والأمة.

ويوضِّح البحث كذلك مراعاة العقاد في قصيدته لعنصر إضافي ومهم يمكن وصفه بـ"المستقبل المحتمَل" وهو ملك مصر فاروق الذي يدين له الشاعر بالولاء. ويمثل هذا العنصر تحديًا للشاعر؛ لأنه يمدح في قصيدته ملكاً غير مولاه والملك الذي يحكمه، وإرضاء ملِكين بقصيدة مدح واحدة مغامرة معقدة. فقد ألّف العقاد قصيدته في سياق تاريخي بدأت فيه العلاقة السياسية بين المملكة العربية السعودية ومصر تتلمس طريقها بعد قرون من الصراعات السياسية والعسكرية، وكان عند إلقاء القصيدة –على المستوى الرسمي– مبعوثاً في مهمة رسمية من ملك مصر فاروق إلى ملك المملكة العربية السعودية عبد العزيز بصفته دبلوماسيًا مصرياً، كما كان –على المستوى الشخصي– يكرس قصائده ليمدح الملك فاروق إعجاباً به أو تقرباً منه. وكان عليه أن يتغلب على التحديات المرتبطة بهذه العناصر الخمس (الرسالة، والمرسل، والمستقبل، والسياق العام، والمستقبل المحتمل) كي تنجح قصيدته في تحقيق أهدافها، وتكون –في الوقت ذاته– ملتزمة برؤيته النقدية لقصيدة المدح.

- **أهمية البحث**:

تكمن أهمية البحث في أنه يتناول قصيدة ألفها الناقد والشاعر العقاد الذي كان له تأثير بارز في النهضة النقدية العربية الحديثة في مرحلة تاريخية مهمة تتعلق بتأسيس العلاقة القوية بين مصر والمملكة العربية

السعودية. ومما يرتبط بأهمية البحث كذلك أنه يحلل قصيدة الشاعر العقاد "أسد العرين" في ضوء مجموعة من الآراء النظرية المستخلصة من مؤلفات الناقد العقاد حول تحديات قصيدة المدح.

- **الدراسات السابقة**:

أشار عدد من المؤرخين من مثل صالح الطيار في كتابه سيرة ومسيرة[١] إلى قصيدة العقاد "أسد العرين" في سياق يرتبط بالعلاقات التاريخية بين مصر والمملكة العربية السعودية، ووردت القصيدة كذلك عند آخرين في سياق الحديث عن زيارة الملك عبد العزيز التاريخية لمصر ويوميات الملك في تلك الزيارة بدءاً من وصول الوفد المصري الذي يضم العقاد إلى جدة حتى نهاية الرحلة مرورًا بإلقاء العقاد لقصيدته أمام الملك عبد العزيز في اليخت الملكي كما جاء في صحيفة أم القرى[٢] وفي كتاب مع عاهل الجزيرة.[٣] ونُشرت القصيدة من مطلعها حتى البيت السادس عشر في عدد مجلة الفيصل الخاص باليوم الوطني عام ١٤٠٨هـ تحت عنوان "قاهر الصحراء".[٤]

---

(١) صالح بن بكر الطيار، سيرة ومسيرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٢٠م، ص.٢٤٥.

(٢) جريدة أم القرى في يوم الجمعة ٨ صفر سنة ١٣٦٥هـ الموافق ١١ يناير سنة ١٩٤٦م، ص.٤.

(٣) عباس محمود العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص.٥٥.

(٤) الفيصل مجلة ثقافية شهرية، ع.(١٢٨)، صفر ١٤٠٨هـ، السنة الحادية عشرة، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٧م، ص.١١.

وقد وردت أبيات من القصيدة مع تعليقات عليها في كتاب عبد القدوس الأنصاري الملك عبد العزيز في مرآة الشعر الذي تحدث فيه المؤلف عن قصيدة العقاد في ثلاث صفحات[١] مشتملة على تعليقات إنشائية ممزوجة بالسجع، ويفصل بين جملها بنقاط على طريقة الخواطر الأدبية كقوله معلقاً على أبيات القصيدة الأولى: "فيفتتحها بشيء من الوصف لصاحب الذكرى يشوب به شيئاً من مظاهر الطبيعة: بحرها وبرها في عرض عابر خفيف لطيف .. ومن ثمت يلج إلى الغرض الأصيل من إضفاء الثناء على الملك الجليل.. والدعاء له بالعمر الطويل، حتى يحقق برامجه الإصلاحية الكبرى لهذا الجيل، وللأجيال المتعاقبة من أمة العرب والإسلام."[٢] ويقترب الأنصاري في بعض هذه التعليقات من النقد العام كتعليقه على صورة الطبيعة في البيتين الثامن والتاسع بقوله: "ويمضي الشاعر في استعراض أطراف من الطبيعة، ساق ذلك ليدخل منه إلى الغرض المقصود بالذات من القصيدة.. فهذا فن جديد وطريف.. ومن فرسان ميدانه كل من عباس محمود العقاد وخير الدين الزركلي".[٣] ومثل ذلك قوله عن البيت الأخير: "وهكذا نجد توافقاً جميلاً محبوكاً بين مطلع القصيدة في براعة الاستهلال وبين ختامها في مسك الختام".[٤] ولم يجد الباحث أي بحث أو دراسة تحلل قصيدة "أسد العرين" تحليلاً نقديًا موضوعيًا.

---

(١) عبد القدوس الأنصاري، الملك عبد العزيز في مرآة الشعر، تقديم: محمد مريسي الحارثي، جامعة أم القرى، ط.٣، (١٤١٩م)، ص.ص ٦٣-٦٥.

(٢) الأنصاري، الملك عبد العزيز في مرآة الشعر، ص.٦٤.

(٣) الأنصاري، الملك عبد العزيز في مرآة الشعر، ص.٦٤.

(٤) الأنصاري، الملك عبد العزيز في مرآة الشعر، ص.٦٥.

- **تحليل القصيدة**

واجه العقاد في قصيدته "أسد العرين" التحديات الأربع المرتبطة بالنص (الرسالة) والمادح (المرسل) والممدوح (المستقبل) والمجتمع والأمة (السياق العام)، كما واجه تحديًا خامسًا يرتبط بشخصية ملكه فاروق (المستقبل المحتمل)؛ لأن وظيفة قصيدة المدح -كما تلاحظ ستيتكفيتش- تتمثل في عنصرين: "١) تأكيد السلطة المعاصرة، أو الزعم بقوتها، ٢) في الوقت نفسه، حفظ الأيديولوجية العربية الإسلامية للحكم، وترقيتها، وإسقاطها على المستقبل".[١] وتكمن صعوبة تحقيق هذه الوظيفة في أن التأكيد على قوة سلطة الممدوح الملك عبد العزيز قد يعني -بطريقة غير مباشرة- تحديد سلطة الملك فاروق، خاصة إذا تعلق الأمر بحفظ الأيديولوجية العربية الإسلامية التي كان الملوك يتنافسون في الفوز بها واعتبارها أساسًا لمشاريعهم السياسية. وقد أقام الملك عبد العزيز دولته الفتية على الإسلام، ثم اختار العروبة ليصف بها دولته (المملكة العربية السعودية).

من هنا، فقد كان لزاماً على العقاد وهو يكتب قصيدته "أسد العرين" أن يراعي ثلاث شخصيات: ذاته كشاعر يؤمن بالدور الإيجابي لقصيدة المدح في خدمة المجتمع وينبذ النفاق في المديح،[٢] والممدوح الملك عبد العزيز الذي أُلِّفت له القصيدة، وملكه الفعلي فاروق الذي أرسله لمقابلة الممدوح. وأي خلل في إرضاء هذه الشخصيات قد يكون سبباً في فشل القصيدة. ويسلط التحليل اللاحق الضوء على الأسلوب الذي اتبعه العقاد في صوره

(١) ستيتكفيتش، القصيدة والسلطة، ص١١٦.

(٢) العقاد، شعراء مصر، ص.١٩.

وتشبيهاته ومجازاته واستعارته وغيرها من الأساليب اللفظية والمعنوية لإيصال الرسالة التي يؤمن بها بطريقة ترضي هذه الشخصيات الثلاث.

- **السياق التاريخي للقصيدة**:

يتطلب إدراك التحديات التي واجهها العقاد في قصيدته استدعاء طبيعة العلاقة بين الشخصيات الثلاث المرتبطة بالقصيدة: الملك عبد العزيز، والملك فاروق، والشاعر العقاد. فقد مرت العلاقة بين عائلة آل سعود (ت. ١٧٢٥م) التي ينتمي إليها الملك عبد العزيز وعائلة محمد علي باشا (ت. ١٨٤٩م) التي ينحدر من سلالتها الملك فاروق بصراعات تاريخية دارت رحاها في جزيرة العرب.[١] واستمرت تلك الصراعات حتى قيام الدولة السعودية الثالثة، قبل دخول مصر تحت الحماية الإنجليزية وبعده. وفي فترة حكم الملكين عبد العزيز وفؤاد الأول (ت. ١٩٣٦م) بدأت بوادر تحسن العلاقة بين العائلتين، لكن حادثة المحمل المصري في موسم حج عام

(١) بعد أن عجز العثمانيون عن وقف زحف الدولة السعودية الأولى بأكثر من طريقة أوكلوا تلك المهمة إلى حاكم مصر محمد علي باشا الذي أرسل جيشاً في عام ١٨١١م بقيادة ابنه أحمد طوسون (ت. ١٨١٦م) لهزيمة السعوديين (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط.١٥، ٢٠٠٢م، ج.٣ ص.٩٠) ففشل، ثم أتبعه بجيش قاده هو بنفسه فلم ينجح قبل أن يرسل ابنه إبراهيم (ت. ١٨٤٨م) على رأس جيش استطاع دخول الدرعية، وأرسل عبدَ الله بن سعود آخرَ الحكام السعوديين إلى عاصمة الدولة العثمانية ليُعدم هناك. وحاول السعوديون إعادة بناء دولتهم، ولكن محمد علي باشا كان يقف في طريق تلك الدولة (محمد بن سليمان بن عبد العزيز خضيري، الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية: دور الأحساء والعراق في استراتيجية الدولتين، دار الصولتية للتربية، الرياض، ٢٠٠٠م، ص.٣٣٨).

١٩٢٦م كانت من الأسباب الرئيسية في فشل تلك المحاولات.[١] ومع تولي الملك فاروق للحكم بدأ عهد جديد في العلاقة بين العائلتين السعودية والعلوية، وأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين مصر والدولة السعودية. وكانت أول زيارة رسمية للملك عبد العزيز لمصر عام ١٩٤٦م، وهي الزيارة التي رافقه فيها العقاد في اليخت الملكي قادماً من جدة، وألقى قصيدته "أسد العرين" خلال تلك الرحلة.[٢]

وقد أُعجب العقاد بشخصية الملك عبد العزيز عندما قابله قبيل الرحلة البحرية، ووصفه بأنه "من أولئك الزعماء الذين يراهم المتفرسون المتوسمون فلا يحارون في أسباب زعامتهم ولا يجدون أنفسهم مضطرين

---

(١) وقعت حادثة المحمل المصري عندما هاجمت جماعة إخوان من طاع الله المحمل القادم من مصر إلى الحجاز بعد رفض أفراد المحمل وقف الموسيقى، فرد عليهم المصريون بإطلاق السلاح. فقرر الملك فؤاد الأول قطع العلاقة مع حكومة الملك عبد العزيز، ولم يعترف بسلطة الملك عبد العزيز على الحجاز، وامتنع عن إرسال كسوة الكعبة، واستمر التوتر بين الملكين حتى وفاة الملك فؤاد عام ١٩٣٦م ومجيء ابنه الملك فاروق في السلطة (محمد علي رفاعي، رجال ومواقف، مطابع دار الشعب، القاهرة، ط.١، ١٩٧٧م، ج.٢ ص.٧٣).

(٢) بدأت عودة العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية في عهد الملك فاروق عندما زار الملك عبد العزيز مصر زيارة غير رسمية للقاء الرئيس الأمريكي روزفلت (ت. ١٩٤٥م) عام ١٩٤٥م، ثم زار الملك فاروق المملكة العربية السعودية في العام ذاته، قبل أن يعيد الملك عبد العزيز الزيارة لمصر بشكل رسمي عام ١٩٤٦م. وهي الزيارة التي رافقه فيها العقاد في اليخت قادماً من جدة، وألقى قصيدته "أسد العرين" خلال تلك الرحلة. واستقبل الملك فاروق الوفدَ السعودي بقيادة الملك عبد العزيز استقبالاً حافلاً. وفي مساء اليوم الأول، أقيمت حفلة ألقى فيها العقاد قصيدة في تحية الملكين. (عبد الحميد حامد مشخص، الرحلة الملكية السعودية إلى مصر، صفر ١٣٦٥هـ/يناير ١٩٤٦م، أعده للنشر: فهد بن عبد الله السماري، محمد بن عبد الرحمن الربيع، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠١٨م).

لأن يسألوا: لماذا كان هؤلاء زعماء؟ لأن الإيمان باستحقاق هؤلاء لمنزلة الزعامة في أقوالهم أسهل كثيرًا من الشك في ذلك الاستحقاق".[١] كما وصف شخصية الملك في مقالة له بعنوان "مع الملك عبد العزيز في البحر" بقوله: "إذا عرفت الملك عبد العزيز ثلاثة أيام فكأنك عرفته ثلاث سنوات أو لازمته في أطول الأوقات".[٢] ويُستنبط من هذا الوصف أن علاقة العقاد بالملك قويت على الرغم من قصر فترة اللقاء بينهما في اليخت. وعلّل ذلك العقاد بقوله عن الملك: "لأن هذا الرجل العظيم مطبوع على الصراحة ووضوح المزاج، لم تشتمل نفسه القوية على جانب من جوانب الغموض التي يحدث منها اختلاف الحالات وتناقض العادات. فهو في أخلاقه وأعماله ومألوفاته يمضي على وتيرة واحدة، ولا يواجه عارفيه في حالتي رضاه او غضبه بخليقة لم تكن لهم في الحسبان".[٣] كل هذه الأوصاف وغيرها مما سجله العقاد في مقالاته تعكس إعجابه الثابت بشخصية الملك عبد العزيز على عكس علاقته المتذبذبة ومواقفه المتغيرة من الملك فاروق.

لقد كانت علاقة العقاد بالملك فاروق علاقة معقدة، حيث كان العقاد يُظهر الولاء والإعجاب بالملك ويمدحه في عدد من قصائده، ويشارك في الاحتفالات التي يرعاها الملك. وكان الملك فاروق كذلك يظهر الاحترام والتقدير للأديب العقاد، ويختاره لبعض بعثاته الداخلية والخارجية على الرغم من العداء السابق بين والده الملك فؤاد والعقاد. لكن نظرة العقاد للملك فاروق مرت بمراحل بدءاً من المديح وإظهار الإعجاب بالملك كما في

(١) العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، ص.١٧.

(٢) العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، ص.٥١.

(٣) العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، ص.٥١.

وصفه له بأنه "فيلسوف، أعظم فيلسوف عرفه"،[١] وجعل في مقالة له نشرها عام ١٩٣٧م نصرةَ الملك فاروق ونصرةَ الأمة في منزلة واحدة حيث يقول: "من نصر المَلكَ فقد نصر الحق ونصر الأمة، ومن تولّى فعليه لعنة الحق ولعنة الأمة".[٢]

وفي مرحلة لاحقة بدأ العقاد يشعر بضعف مكانته عند الملك فاروق، خاصة أن الأخير لم يمنحه أي لقب من الألقاب الباشوية التي يمنحها للمقربين منه وللشخصيات التي كان لها دور في إسقاط حزب الوفد. وقد أظهر العقاد غضبه في مقالة يتساءل فيها قائلاً: "قد تقولون إن الأديب في غنى عن الألقاب، ولكن أما وقد منحت الدولة للأدباء ألقاباً، ففيم حرمان العقاد وحده؟"[٣] وقد رُبط عدم تكريم العقاد بموقفه السابق من الملك فؤاد حيث إن الملك فاروق ومستشاريه لم ينسوا تلك المواقف.[٤] لكن العقاد استمر في إظهار تأييده للملك حتى في سنة حكمه الأخيرة،[٥] قبل أن يتحول موقفه منه بعد خلعه عام ١٩٥٢م، ويصرح بأن "الخلاص من عهد فاروق ضرورة لا تستكثر عليها أن تقدم الأمة في سبيلها على خسارة في الأرواح والأموال".[٦]

---

(١) سلامة موسى، مقالات ممنوعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص.٢٧.

(٢) رجاء النقاش، عباس العقاد بين اليمين واليسار، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٨م، ص.٣٣١.

(٣) النقاش، عباس العقاد بين اليمين واليسار، ص.٣٣٣.

(٤) النقاش، عباس العقاد بين اليمين واليسار، ص.٣٣٢.

(٥) النقاش، عباس العقاد بين اليمين واليسار، ص.٣٣٤.

(٦) العقاد، دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، ص.٢٤٦.

والمهم في رصد هذه العلاقة الثلاثية بين الملك عبد العزيز والملك فاروق والشاعر العقاد هو تأثيرها غير المباشر في مضمون ومعاني قصيدة "أسد العرين". فقد كان لزاماً على الشاعر أن يراعي طبيعة العلاقة بين الملكين وتاريخها -من جهة- وأن يراعي الاختلاف بين علاقته بالملك عبد العزيز التي تقوم على الإعجاب والتقدير الاختياري وعلاقته بالملك فاروق التي تستند إلى البيعة والولاء السياسي الإجباري، من جهة أخرى. فقد اختار الشاعر أن يمدح الملك عبد العزيز وأن يظهر إعجابه الشديد بشخصيته ومنهجه السياسي، لكنه لم يكن حرًا في اختيار معاني المديح؛ لأن ولاءه للملك فاروق يجبره على تجنب أي معنى قد يُفهم منه تقديمه للممدوح على مَلِكِه الذي أرسله ليرافق الملك عبد العزيز.

- **مناسبة القصيدة**:

جاء في العدد الصادر من جريدة أم القرى السعودية والخاص بزيارة الملك عبدالعزيز لمصر عام ١٩٤٦م ما نصه:

قبيل ظهر يوم الخميس أمس رسى اليخت المحروسة المقل لحضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز المعظم في ميناء بور توفيق ... وفي صباح اليوم المذكور كان جلالة الملك المعظم يتجول في اليخت، وقد اتشح جلالته بقلادة محمد علي الكبير. ولأول مرة يتشح جلالة الملك بوسام ... وما كاد يُعرف في اليخت أن اليوم (الثلاثاء) يوم ذكرى جلوس جلالة الملك المعظم حتى عمَّ البشر نفوس جميع من في اليخت، وغمرتهم أمواج من البهجة والحبور، وأقيم احتفال رسمي في اليخت في الساعة الخامسة قبيل

الظهر،[١] بداء بأن تشرف سعادة مراد محسن باشا بزيارة جلالته لتقديم تهاني جلالة الملك فاروق المعظم في هذه المناسبة السعيدة، ثم تقدم أعضاء البعثة وغيرهم بتهنئة جلالته، وتقدم بين يدي جلالته الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد، وأنشد قصيدة من عيون الشعر ... وأقيم بعد ذلك عرض عسكري شهده صاحب الجلالة، واشترك فيه جميع ضباط اليخت وجنوده.[٢]

يتضمن هذا السرد لمناسبة قصيدة "أسد العرين" إشارات يمكن أن توجه قراءة القصيدة، من أهمها أن مناسبة عيد جلوس الملك لم تكن معلنة وهو ما يستنبط من قول سارد المناسبة: "وما كاد يُعرف في اليخت أن اليوم (الثلاثاء) يوم ذكرى جلوس جلالة الملك ... إلخ". وقد يشير ذلك إلى أن العقاد كتب قصيدته في فترة وجيزة قبل إلقائها إن لم تكن قصيدة إرتجالية.

ومما يستفاد من سرد المناسبة أن الشاعر (المرسل) استخدم وسيلة الاتصال الشفهي (الشفرة) المباشر في نقل رسالته (القصيدة) إلى الممدوح (المستقبل). فلم تصل القصيدة إلى الممدوح في رسالة مكتوبة أو تصله شفهيًا بطريقة غير مباشرة من خلال إلقائها من شخص غير مؤلف القصيدة؛ لأن وسيلة الكتابة أو الاتصال الشفهي غير المباشر يتركان مساحة لعوامل خارج سيطرة المرسل الشاعر من مثل نوع الخط وزمن التلقي في الاتصال المكتوب وأسلوب الإلقاء ومهارة الملقي وانعدام التغذية العكسية في

---

(١) جاء في الأصل "الخامسة قبيل الظهر"، ويمكن أن يعلل ذلك باعتماد كاتب المقال على توقيت مختلف كما يمكن أن يكون خطأ في النقل والتوثيق.

(٢) جريدة أم القرى في يوم الجمعة ٨ صفر سنة ١٣٦٥هـ الموافق ١١ يناير سنة ١٩٤٦م، ص. ٤.

الاتصال الشفهي غير المباشر، وقد يكون لهذه العوامل تأثير مباشر على استقبال الممدوح للرسالة وعلى العنصر الأخير من عناصر الاتصال والمتمثل في رد فعل المستقبل. ويسهم الاتصال الشفهي المباشر كذلك في السيطرة على عملية الاتصال وتقييمها من خلال متابعة المتلقي وملاحظة ردود أفعاله.

وقد رويت مناسبة القصيدة في كتاب مع عاهل الجزيرة بأسلوب يصور لحظة إلقائها، حيث "ألقى أديب العربية وكاتبها الأكبر وشاعرها العظيم الأستاذ عباس محمود العقاد هذه القصيدة بين يدي الملك عبد العزيز آل سعود في اليخت الملكي «المحروسة» يوم ذكرى جلوس جلالته، وذلك في يوم صفر ١٣٦٥هـ (٩ يناير ١٩٤٦م). وقوبلت بالإعجاب البالغ والاستحسان الذي لا مزيد عليه، والتصفيق الذي لا حد له".[١] ويستخلص من هذا الوصف اتحاد المادح والممدوح والجمهور في تفاعلهم الإيجابي مع القصيدة.

- **تحليل لأقسام القصيدة**:

تدور الصور والمعاني في قصيدة "أسد العرين" حول موضوع عام يتعلق بالمديح وموضوعات فرعية جرى تقسيمها لغرض التحليل إلى خمسة أقسام: مدخل إلى المدح (الأبيات ١-٣)، والدعاء والمباركة (الأبيات ٤-٧)، والاحتفال بالذكرى (الأبيات ٨-١٢)، والمدح والتأييد (الأبيات ١٣-١٦)، الرجاء والأمل (البيت ١٧).

(١) العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، ص.٥٥.

١- مدخل إلى المدح:

١ - أسدُ العرينِ يخوضُ غَيْلَ الماءِ يا بحرُ راضَكَ قاهرُ الصحـــراءِ
٢ - حيّاه بادِيها وحاضُرُها معاً فاغنمْ تحيَّةَ يومِه الوضّـــاء
٣ - يومٌ من البُشْرى يردّد ذكره ركبُ السفينِ وجيرة البيداء[١]

يقوم هذا الجزء الافتتاحي من القصيدة (الرسالة) بدور تحديد موضوعها وسياقها الخاص (الزمان والمكان) المحدد لذلك الموضوع، بالإضافة إلى تحديد أسلوب القصيدة وسياقها العام، ويستخدم فيه الشاعر (المرسل) ضمير الغائب للإشارة إلى الممدوح (المستقبل). ويتضمن المطلع إعلانًا غير مباشر بأنها قصيدة مدح تحمل بعض عناصر قصيدة المدح القديمة على الرغم من أن العقاد -كما يرى الأنصاري- يخالف تلك القصيدة ويتجنب المقدمة التقليدية.[٢] فقد افتتح العقاد قصيدته بصورة متحركة تحمل بعض عناصر قسم الرحيل في القصيدة القديمة الذي يصور فيه الشاعر رحلته في الصحراء، وذلك بعد بكاء الديار وقبل البدء في المديح.[٣] ويركز المطلع على ثنائية الصحراء والبحر التي تناسب السياق الخاص الذي ألقيت فيه القصيدة، وتستدعي كذلك صورة متحركة مشابهة في مقدمة بعض القصائد الجاهلية من مثل تشبيه طرفة بن العبد (ت. ٥٦٩م) للظعن بالسفينة في الجزء الافتتاحي من معلقته،[٤] وهو ما يقرّب قصيدة "أسد العرين" -إلى

---

(١) العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، ص.٥٥.
(٢) الأنصاري، الملك عبد العزيز في مرآة الشعر، ص.٦٣.
(٣) سوزان ستيتكفيتش، القصيدة العربية وطقوس العبور: دراسة في البنية النموذجية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ج.١ م.٦٠، ربيع الثاني ١٤٠٥هـ يناير ١٩٨٥م، ص.٥٥.
(٤) يقول طرفة في معلقته:

كَـأنَّ حُـدُوجَ المَالكِيَّةِ غُـدْوَةً خَلَايَا سَفِيْنٍ بِالنَّوَاصِـفِ مِنْ دَدِ
عَدَوْلِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِيْنَ ابْنَ يَامِـنٍ يَجُوْرُ بِهَا المَلَّاحُ طَوْرًا ويَهْتَـدِي
يَشُـقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا كَمَـا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلَ بِاليَـدِ

ـ (طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر دار الثقافة والفنون، بيروت، ص.٢٥).

حد ما- من قصيدة المدح العربية القديمة التي كانت تتخذ -في كثير من أمثلتها- القصيدة الجاهلية أنموذجًا لها.(١) ويضيف الشاعر عنصرًا جديدًا يربط افتتاحية قصيدته بالقصيدة العربية القديمة يتمثل في صورة الأسد الذي حضر في موضوعي المدح والفخر قديماً بوصفه مثالاً للقوة، وتكررت إضافته إلى عرينه لتدل على أنه متأهب للهجوم خوفاً على أشباله.(٢)

ومما يرتبط بهذه الصورة الافتتاحية ما ورد في كتاب "الرحلة الملكية السعودية إلى مصر"(٣) من أن العقاد ألقى قصيدته بعد أن تحدث الملك عبد العزيز عن تاريخه وحروبه، وما ورد كذلك في السرد السابق لمناسبتها من أنها ألقيت ضمن احتفال انتهى بعرض عسكري. وهي عوامل مرتبطة بالسياق الخاص الذي ألقيت فيه القصيدة، وتؤثر في مضمون رسالة المديح المعتمدة على وصف قوة الممدوح، حيث يصور الشاعر في مطلع قصيدته صراعًا بين الطبيعة والممدوح استطاع فيه الأخير حسم الصراع بعد أن قهر الصحراء التي ترمز للشدة والمتاعب، وروَّض البحر الذي يرمز للضياع والاضطراب.

ويقوم البيت الثاني بدور التحديد الزمني للمديح مستخدماً الفعل "اغنم" الذي يدل على أن القصيدة مرتبطة بمناسبة محددة يجب اغتنامها وهي عيد الجلوس الذي وصفه الشاعر بـ"اليوم الوضاء". ويصور هذا البيت جانب البهجة والسرور في شخصية الممدوح، فقد فرح الجميع بدواً وحضرًا بذلك اليوم المضيء، وتبادلوا التحايا. وتكرار معنى الحياة في هذا البيت الثاني

---

(١) ستيتكفيتش، القصيدة والسلطة، ص. ١١٤.

(٢) استخدم عدد من الشعراء صورة "أسد العرين" كما في قول أبي تمام:

أسد العرين إذا ما الروع صبحها أو صبحته ولكن غابها الأسل

(الأعلم الشنتمري، شرح ديوان أبي تمام، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ٢٠٠٤، ج.٢ ص.٣١٧).

(٣) مشخص، الرحلة الملكية السعودية إلى مصر.

(حياه وتحية) ثم استخدام وصف الضياء (الوضاء) يشير إلى قدرة الممدوح على جلب الحياة والبهجة لمحبيه، في مقابل صورة القوة في المطلع التي تؤكد قدرته على جلب الدمار والموت لأعدائه. وفي هذا السياق، يستخدم الشاعر (المرسل) لفظ "الصحراء" والضمير المتصل (الهاء) في قوله "بادِيهـا وحاضُرُها" الذي يعود على صحراء جزيرة العرب ليحدد مكان الابتهاج، وليؤكد بطريقة غير مباشرة أن المحتفلين ينتمون إلى صحراء جزيرة العرب التي يحكمها الممدوح. ويكرر البيت الثالث تلك المحددات الزمانية والمكانية المرتبطة بالسياق الخاص التي وردت في البيت السابق، فبهجة الشاعر مرتبطة بـ"يوم" جلوس الممدوح على العرش، والمحتفلون بهذه المناسبة هم ركاب اليخت الملكي ووفد الملك المرافق له والمشار له بـ"ركب السفين وجيرة البيداء".

وتقوم كل هذه المحددات الموضوعية والزمانية والمكانية في الجزء الافتتاحي من القصيدة بدور مزدوج يتعلق بمدح الملك عبد العزيز –من جهة– والمحافظة على ولاء الشاعر للملك فاروق (المستقبل المحتمل)، من جهة أخرى. ولو زالت هذه المحددات الزمانية والمكانية التي تنظم العلاقة بين المادح والممدوح وتحدد السياق الخاص للقصيدة كأن قال الشاعر في البيت الثالث "عهد من البشرى" أو استخدم في المطلع لفظاً يشمل مصر كـ"الكون، والأرض، والعالم ... إلخ" بدلاً من لفظ "الصحراء" فقد يكون في ذلك مدخل لتفسير النص تفسيرًا يقود إلى الشك في ولاء الشاعر للملك فاروق، لكن هذه المحددات فلَّصت من احتمالات هذا الشك، ووضعت القصيدة في إطارها المناسب بوصفها "قصيدة مناسَبة". وتكررت هذه المحددات في الجزء الثاني من القصيدة لكن بأسلوب مختلف.

٢- الدعاء والمباركة:

٤ - عِشْ يا طويلَ العُمرِ عيشَ معمرٍ تَحْيا به أُمَـــمٌ مِنَ الأَحياء

٥ - ما خَصَّ طالعُكَ الرياضَ بيُمنِه بل فاضَ من عمم على الأرجاء

٦ - حقُّ المواطنِ حينَ يَذكـــر عَهدَه في الحَمدِ والتبريك حقٌّ سواء

٧ - لا غـــرو نذكُره ونَهتُفُ باسمِه في هذه الآفـــــاقِ والأجواءِ

يبدأ الشاعر (المرسل) هذا الجزء بالدعاء للممـــدوح (المســـتقبل) أن يعيش ويُبسط له في العمر، ويؤكد هذا الدعاء بوصف الملك بـــ"طويل العمر" وهو وصف يستخدم في مملكة الممدوح للإشارة إلى علية القوم ثم باستخدام صيغة الإضافة إلى نكرة التي تدل على التعميم في قوله: "عيش معمر". ولا تقتصر فائدة هذا الدعاء على الممدوح بل تتعداه إلى غيره ممن يستفيد من كرمه، وفي ذلك خروج من السياق المكاني الخاص (اليخت) إلـــى الســـياق العام (الأمتين العربية والإسلامية). وقد أشار العقاد إلى مثل هذا الأســـلوب بقوله واصفاً فائدة شعر المدح: "إن الممدوحين يُمدحون بالكرم والشـــجاعة، وليس الكرم فائدة مقصورة على الممدوح، وليست الشجاعة كـــذلك فائـــدة مقصورة عليه، وبخاصة في العصور التي يتكفل فيها الفرسان بالدفاع عـــن الأوطان".[١] من هنا، فإن حياة الممدوح الذي يدافع عن وطنه تعنـــي حيـــاة مجتمعه وأمته. وبهذا يكون دعاء الشاعر للممدوح بطـــول العمـــر دعـــاء لمجتمعه وأمته بعمر مديد. والتزم الشاعر في هـــذا البيـــت بمبـــدأ خدمـــة المجتمع والأمة بالمديح عندما شجع الممدوح على الاستمرار في العطاء من خلال وصفه بأنه سبب في إحياء أمم من الناس، واستخدم الفعل "تحيا" الذي

(١) عباس محمود العقاد، الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام، مؤسسة هنـــداوي للتعلـــيم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص.١٧٠.

يدل على عودة الحياة بعد الموت ليشير إلى أن كرم الممدوح أعاد الحياة إلى أمم كانت في عداد الأموات أو ستواجه مصير الموت إذا انقطع كرمه.

وفي ضوء رؤية العقاد التي تربط المدح بخدمة الأمة، يؤكد الشاعر في البيت الخامس تجاوز بركةِ الممدوح عاصمةَ مملكته لتعمَّ الأرجاء مستخدماً صورة لمطالع النجوم في السماء التي كان العرب يتفاءلون بالطالع الحسن منها؛ كي يصور تجاوز بركةِ طالع الممدوحِ الرياضَ التي ترمز للمملكة العربية السعودية إلى الأرجاء، ليعم فيها الرخاء والرفاهية وسعة العيش. وفي استخدامه للفعل "فاض" (البيت ٥) دلالة على أن الممدوح قد بدأ مشروعه برفاهية مواطني مملكته ثم فاضت تلك الرفاهية لتتجاوز المواطن إلى غيره، وهو معنى يناسب ما أشار إليه ابن رشيق وابن عبد ربه وغيرهما من أن "المُلوكُ لا يُمدحون بالفرائض الواجبة، إنما يَحسن مدحُهم بالنّوافل".[١] فقد أنجز الممدوح واجبه بإكرام مواطني مملكته، وكان دعمه لغيرهم من العرب والمسلمين من النوافل التي حرص عليها كحرصه على الواجبات. وأكد البيت السادس مثالية علاقة الممدوح بمواطني مملكته ولطف إسلوبه في التعامل معهم.[٢] من هنا، فإن على المواطن -كما يصور

(١) ابن عبد ربه القرطبي، العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٩م، بيروت، ج.٢ ص.٤١١.

(٢) وقد أشار العقاد إلى علاقة الملك بمواطنيه فيما رُوي عنه من أن "ديمقراطية جلالته في معاملة رعيته مضرب للمثل، فقد سمع [العقاد] الناس يتحدثون عنه باسمه مجردًا من هالات الحكم المعهودة" (العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، ص.٦٤). ويروي العقاد كذلك موقفاً شاهده قبل صعود اليخت مع الملك متوجهاً إلى مصر يبيِّن فيه أسلوب الملك عبد العزيز في التعامل مع المواطن في مملكته قائلاً: "فقد كان جلالته يخرج في موكب كانوا يطلقون عليه هناك موكب الرحمة، وبينما الموكب يشق طريقه صاح أحد البدو بعد أن اقترب منه قائلاً: "يا عبد العزيز: مظلوم. فأمر الملك سائقه بالوقوف، فهو يكره أن يكون بين رعيته مظلوم، فأدنى منه الرجل وسأله حاجته. فقال: أريد الهجرة ... أريد دواء ... أريد كساء. فأمر جلالته للرجل بالدواء والكساء وأعطاه عشرين جنيهاً لتساعده على الهجرة. ثم مضى موكب الرحمة في طريقه" (العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، ص.٦٤).

الشاعر- حق أن يحمد الله على نعمة حكم الممدوح، وله حق أن يبارِك لـه الشاعرُ الرفاهيةَ التي يعيشها. ويتحد الشاعر مع المواطنين فـي فـرحتهم بالملك وهتافهم باسم الممدوح على متن اليخت، فهو يشاركهم فرحتهم فـي وقت محدد عند احتفالهم بعيد جلوس الممدوح وفي مكان محدد على اليخت "في هـذه الآفـاق والأجـواءِ".

لقد اتبع العقاد في هذا الجزء من القصيدة أسلوب التعريف في تحديـد الأماكن التي ترتبط بالممدوح كألفاظ طالعك، والرياض، والمواطن، ويمنـه، وعهده، واسمه بينما اتبع أسلوب التنكير من خلال صيغة النكرة كمـا فـي ألفاظ معمرٍ وأمم، أو من خلال الألفاظ المعرّفة لغويًا، لكنهـا نكـرات فـي دلالاتها كما في ألفاظ الأحياء والأرجاء؛ ليشير إلى الحدود الجغرافية للتأثير الإيجابي الذي أحدثه الممدوح. وتتيح صيغة النكرة في التحديـد الجغرافـي للعقاد أن يمدح الملك عبد العزيز دون أن يضطر إلى تحديد مكـاني قـد لا يناسب ولاءه للملك فاروق. فاليُمن والبركة والرفاهية تشبه القوة العسكرية في أنها قوة، لكنها ناعمة تدل على تأثير الممدوح و-إلى حد ما- سيطرته، وكان لزاماً على الشاعر أن يلزم الحذر في تحديده للنطاق الجغرافي لتـأثير تلك القوة الناعمة للممدوح.

٣- الاحتفال بالذكرى:

٨ - إنَّ الذي غَمَر المليكَ بفضـــله ... ساقَ البحارَ إليه في البَشراءِ

٩ - لم يَقتَرنْ بالبَحر عيدُ جُلوسِه ... إلا لِعمـــرٍ زاخرٍ ورخاءِ

١٠ - وإذا به عبدُالعزيز بطلعةٍ ... كالـــبدرِ بين كواكبِ الأمراءِ

١١ - وأَرى السماءَ تأمَّلتْ مرآتَهـا ... في الماءِ فانطَبعت على الخضراء

١٢ - أرضُ النبوةِ حين تمَّ فخارُها ... خَلعَتْ عَوارِفَهـا على الدأماء

افتتح الشاعر هذا الجزء من القصيدة بالربط بين قوة الممدوح والحماية الإلهية له. فقد استطاع بفضل الله أن يحقق معجزة سياسية بتوحيد جلّ مساحة جزيرة العرب بتضاريسها الصعبة وقبائلها المتنافرة خلال مرحلة تاريخية تكالبت فيها القوى الاستعمارية على الأمة العربية، وأشار الشاعر إلى أن العناية الإلهية بالممدوح سخرت له البحر في عيد جلوسه على العرش. ويقوم هذا البيت الثامن بربط المدح بالسياق المكاني الخاص للقصيدة من خلال استدعاء صورة البحر كما يقوم بوظيفة تأكيد الشرعية السياسية والدينية للممدوح؛ لأن تسخير البحر له وعناية الله به تدلان على الاختيار الإلهي الذي كان عنصرًا مهماً من عناصر تأكيد شرعية الخليفة في قصيدة المدح العربية القديمة.(١) ويشير البيت التاسع إلى رمزية ارتباط عيد جلوس الممدوح بالبحر الذي يرمز للخير والرخاء وطول العمر.

ويتحول المدح في البيتين العاشر والحادي عشر من الوصف إلى السرد ليصور لحظة مجيء الملك إلى مكان الاحتفال في اليخت. ويعلق الأنصاري على تلك اللحظة وعلى مصادفة أن يكون عيد الجلوس في يوم ركوبه البحر بقوله: "فنسج الشاعر من هذه (المصادفة العجيبة) رواية شعرية جد قصيرة، ولكنها جد محبوكة .. بطلها عبد العزيز آل سعود ومكانها البحر، ومشاهدها الشاعر عباس محمود العقاد"(٢). ثم يصف الأنصاري تلك اللحظة بلغة إنشائية قائلاً: "ويرفع لنا الشاعر الستار عن فصول هذه الرواية، فهذا عبد العزيز تتبدى طلعته العربية المشرقة الكريمة بحرًا من الجود والإنسانية والشهامة يمتطي بحرًا من الماء. وها هو ذا على

(١) ستيتكفيتش، القصيدة والسلطة، ص.٢٢٢.

(٢) الأنصاري، الملك عبد العزيز في مرآة الشعر، ص.٦٤.

أريكة من أرائك اليخت الملكي يشرق إشراقة البدر بين الكواكب، وتشرق طلعته في مرآة السماء الصافية في المكان البهي فتنطبع صورته المشرقة على سندس البحر الأخضر الجميل، بدرًا ثانيا، أشرق من البدر وأكرم من البحر".[١]

إن المنطق الشعري يفرض على الشاعر (المرسل) أن يمدح الملك (المستقبل) بأعلى الصفات، ويضعه في منزلة تربو على منزلة غيره من الملوك على طريقة مدح النابغة (ت. ٦٠٤م) للنعمان بن المنذر (ت. ٦٠٨م) في قوله:

ألم ترَ أن الله أعطاكَ سورةً ترَى كل ملكٍ دونَهَا يتذبذَبُ
بأنكَ شمسٌ والمُلُوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبْدُ منهنَّ كوكبُ[٢]

ولكن المنطق السياسي يفرض على العقاد أن يترك لملكه فاروق (المستقبل المحتمل) صورًا وصفات تتجاوز الصفات التي ينسبها للملوك الآخرين بما فيهم الممدوح. وفي هذا السياق، يمكن تعليل تشبيهه الملك بـ"البدر" في قوله: "كالبدرِ بين كواكبِ الأمراءِ" (البيت ١٠) بأنه لو وصفه بـ"الشمس" التي تبطل ضوء القمر والكواكب لما ترك شيئاً أعلى من ذلك الوصف لملكه فاروق. واختار الشاعر صورة ليلية مناسبة للسياقين المكاني (البحر) والزماني (ظلام الليل في البحر) للقصيدة ليجعل الممدوح

(١) الأنصاري، الملك عبد العزيز في مرآة الشعر، ص.٦٤.

(٢) النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.٣، ١٩٩٦م، ص.٢٨.

كالبدر المضيء ليلاً وأخوته وأبناءه الأمراء[١] الذين كانوا -كما يروي العقاد- "يقفون على يسار جلالته إذا وقف في عرض أو احتفال"[٢] كالكواكب التي هي أقل ضوءاً من البدر.

ويصف العقاد مملكة الممدوح بـ"أرض النبوة" في البيت ١٢، وهو وصف يضيف بعدًا شرعيًا يربط الممدوح بطريقة غير مباشرة بمنهاج النبوة، ويجعله في منزلة بين الخليفة الذي يحكم الأمة الإسلامية والملك الذي يحكم قطرًا من أقطارها. وقد عبر العقاد عن أسلوبه في مثل هذا المعنى من معاني المديح بقوله: "فإذا وقفت أنا المادح وأنت الممدوح فردًا أمام فرد فليس لي سبيل إلى غير الثناء على شخصك وتمليق سمعك، وإعلان شكرك، ولكني إذا وقفت أنا شاعر الأمة أمام أمير الأمة، فقد يجزئنى في إرضائه وإرضاء الناس عنه أن أعلن فخار الأمة، وأجعله هو مناط ذلك الإعلان، وعنوان ذلك الفخار".[٣] فالشاعر (المرسل) ينظر إلى الممدوح (المستقبل) على أنه خادم الأمة وأكبر من مجرد ملك لإقليم إسلامي؛ لأنه يحكم أرض النبوة والحرمين الشريفين اللذين ارتبطا تاريخيًا بلقب "الخليفة". ولا يستطيع الشاعر استخدام أوصاف من مثل "الخليفة" أو "فخار الأمة" أو غيرهما من الأوصاف التي قد تنافي ولاءه للملك فاروق (المستقبل

---

(١) روت صحيفة أم القرى أنه "كان يرافق جلالة الملك المعظم في رحلته الملكية حضرات أصحاب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد الرحمن أخو جلالته، والأمير محمد، وخالد، وفهد، وعبد الله، وبندر، ومساعد، وعبد المحسن، ومشعل، وسلطان، ومتعب، وطلال، ونواف. كما رافقه رجال الحاشية وكبار موظفي البلاط الملكي العامر" (صحيفة أم القرى، ١١ يناير ١٩٤٦م، ص.٤.)

(٢) العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، ص.٦٠.

(٣) العقاد، ساعات بين الكتب، ص.٤٤٦.

المحتمل)، وتجعل الأخير تابعًا للممدوح. فاختار أسلوباً وسطاً ينسب فيه الممدوح لأرض النبوة، ويصفه بفخار تلك البقعة من الأرض التي غطت محاسنها الدأماء والأرض عامة.

٤- المدح والتأييد:

١٣ - مَلكٌ أنافَ على العقولِ بعَزمِه وأتَمَّ ذاك بما يَراه الرائي

١٤ - جَمَعَ المَهَابَةَ في العُيونِ وفي النُّهَى وسَمـا بمَجدِ أُبوَّةٍ وإباء

١٥ - يَرعَاه بارئُه ويَحرُسُ ركبَه في كلِّ أَرضٍ تحتَ كلِّ سَماء

١٦ - الشرقُ والإسلامُ قد سُعِدا بمَنْ يَعلُو بآلِهما إلى الجَوزاء

إن من معايير المدح الناجح في رؤية العقاد أن يحاول المادح أن يفصِّل في فضائل الممدوح؛ ليثبت أنه يستحق المدح حيث يقول: "ومن المجددين شاعر يمدح من يستحق المديح من الأحياء والأموات، ويشرح فضائلهم، ويجلو لنا نفوسهم، وليس من المجددين شاعر يتحاشى كل مديح لكيلا يتهم بالتقليد!".[١] وقد أوجز الشاعر في هذا الجزء من القصيدة بعض صفات الممدوح التي تحدث عنها في مواضع مختلفة. فقد سجل العقاد إعجابه بعقلية وشخصية ونباهة وفراسة الملك عبد العزيز في أكثر من موضع من مقالاته ومؤلفاته، وضمّن تلك المؤلفات حديثاً عن هيبة الملك وقوته رغم كبره في السن. وأشار في إحدى مقالاته عن الملك إلى أن "أول ما يدهشك من منظره قوة النفس والعقل والحس على السواء".[٢] ويلخص البيت الثالث عشر تلك الآراء من خلال وصف عقلية الممدوح بأنها تتجاوز العقول، وقد تحقق له ذلك بقوة عزمه ورجاحة عقله. وبلغ الممدوح المجد

(١) العقاد، ساعات بين الكتب، ص.١٨٦.

(٢) العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، ص.٥١.

بإبائه وأنفته وعزة نفسه ليواصل مسيرة آبائه. وفي إشارة الشاعر (المرسل) لآباء الممدوح في البيت الرابع عشر رسالة غير مباشرة للملك (المستقبل) تتضمن إعجابه بهم على الرغم من صراعهم الطويل مع آباء الملك فاروق (المستقبل المحتمل) الذي يدين له الشاعر بالولاء السياسي.

لقد دأب شعراء المدح قديماً على تأكيد شرعية الممدوح إذا كان في قمة هرم السلطة السياسية من خلال ربط سلطته بالإرادة الإلهية، وصوروا الممدوح بأنه خليفة الله المعتصم به كما في قول أبي تمام يمدح الخليفة العباسي المعتصم (ت. ٨٤٢م):

تَدْبيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللّهِ مُنْتَقِمٍ ... للهِ مرتقبٍ في الله مُرتغبِ

خَلِيفَةَ اللّهِ جازَى اللّهُ سَعْيَكَ عَنْ ... جُرْثُومَةَ الدِيْنِ والإِسْلاَمِ والحَسَبِ[1]

ويقوم البيت الخامس عشر في قصيدة العقاد بدور مشابه ليؤكد شرعية الممدوح من خلال الحديث عن رعاية البارئ وحفظه له بصيغة تحتمل معنى الخبر كما تحتمل معنى الإنشاء بصيغة الدعاء. ثم يتجاوز الشاعر السياق الخاص إلى السياق العام ليصور هذه الرعاية الإلهية بأنها عامة في كل مكان وفي أي أرض حلَّ بها الممدوح.

ويرتبط قول الشاعر "الشرقُ والإسلامُ قد سُعِدا بمَنْ...إلخ" (البيت ١٦) بقوله السابق واصفاً الممدوح بأنه "تَحْيا به أُمَمٌ مِنَ الأَحياء" (البيت ٤) في أنهما يخرجان القصيدة من السياق الخاص إلى السياق العام ليؤكدا الاعتراف العربي والإسلامي بشرعية مُلك الملك عبد العزيز، ويشيرا إلى أن تأثير الممدوح يتجاوز حدود مملكته إلى الأقطار الأخرى. فقد برز

(١) الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ج.١ ص.٤١-٤٨.

الممدوح الملك عبدالعزيز في تلك المرحلة التاريخية بوصفه قائدًا ناجحاً يستطيع إحياء الأمل العربي في الوحدة والتحرر من الاستعمار بعد أن نجح في توحيد جل مساحة جزيرة العرب في دولة واحدة. وبربط البيتين الرابع والسادس عشر بسياق الرحلة البحرية، فقد يكون الشاعر يشير إلى موقف الممدوح من التعاون بين الأمم العربية الذي تمثل وقتها بتأسيس جامعة الدول العربية وحديث الملك عنها خلال تلك الرحلة.(١) وكأنه يشير في البيتين إلى أن الأمم العربية والإسلامية تحيا بحياة الممدوح، وهي تناصره وتؤيده، كما يشير إلى أن همة الممدوح وعنايته بالعروبة والإسلام سترفع هذه الأمم إلى برج الجوزاء، وترتقي بهم إلى أعلى درجات الحضارة والتطور.

وقد يلمح استدعاء الشرق والإسلام في قول الشاعر: "الشرقُ والإسلامُ قد سُعِدا" (البيت ١٦) إلى أن سلطة الممدوح تمتد لتغطي الشرق والأقطار الإسلامية، إلا أن اختيار الفعل "سُعدا" –المرتبط بمعنى "السعادة"– دون غيره قد ينفي هذا المعنى لما يدل عليه هذا الفعل من معنى التأييد القلبي الذي لا يصل –بالضرورة– إلى التأثير الفعلي المباشر. فقد كان جميع من في الحفل سعداء بمناسبة جلوس الملك على العرش، وافتُتح الحفل بالتعبير عن سعادة الملك فاروق بالمناسبة. وإذا كان الشرق والإسلام قد

(١) يروي العقاد حديث الملك عبد العزيز خلال الرحلة عن الجامعة العربية قائلاً: "اشتملنا على جو العروبة من جميع نواحيه حين دار الكلام على الجامعة العربية في مجلس العاهل العظيم صاحب الجلالة الملك عبد العزيز، لأن جلالته ولا ريب ركن من أثبت أركان هذه الجامعة ... وجلالته يؤمن بلزوم الجامعة، ويعتقد أن كرامة الأمم العربية جميعًا مرهونة ببقائها ونجاحها، ويسميها منارًا ودريئة لكل دولة عربية تشترك فيها" (العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، ص.٥٠).

"سُعدا" بانتصارات الممدوح وبشخصيته فذلك يدل على تفاؤلهم بما سيقدمه لهم في المستقبل. ويحمل الفعل "سعدا" كذلك دلالة سعادة الشاعر وإعجابه بالممدوح دون إخلال بانتمائه السياسي لمصر وملكها فاروق؛ لأن السعادة -مع دلالتها على الرجاء والأمل- لا تحمل -بالضرورة- معنى الولاء والاتباع.

٥- الرجاء والأمل:

١٧ - في ظِلِّ فاروقٍ وظِلِّ صَديقِه عبدِالعزيزِ يَتُمُّ كلُّ رَجاء[١]

يقوم البيت الختامي في القصيدة بأكثر من دور يتعلق بولاءات الشاعر (المرسل) السياسية، فإعادة النظر إلى أبيات القصيدة (الرسالة) ستكشف إعجاب الشاعر بالملك (المستقبل). وتكاد تؤدي هذه الأبيات دورًا أدائيًا يشبه تأدية البيعة الدينية والسياسية للممدوح كما في قصائد كثيرة من مثل قصيدة البردة لكعب بن زهير (ت. ٦٤٦م) في العصر القديم[٢] وقصيدة (العز والمجد) لشاعر الملك عبد العزيز محمد بن عثيمين (ت. ١٩٤٤م) في العصر الحديث.[٣] فقصيدة المدح "عبارة عن طقس أدبي وبلاطي معقّد يشتمل على ... الولاء والاعتراف بالشرعية".[٤] لكن البيت الأخير ينفي

(١) ورد الشطر الأخير في نسخة صحيفة أم القرى بعبارة "عبدِالعزيزِ يَتُمُّ كلُّ رَخاء" (جريدة أم القرى في يوم الجمعة ٨ صفر سنة ١٣٦٥هـ الموافق١١يناير سنة١٩٤٦م، ص. ٤).

(٢) ستيتكفيتش، القصيدة والسلطة، ص.٧٩.

(٣) مصطفى محمد تقي الله بن مايابا، الاستخدام الشعري للغة بين التطفل والإنجاز قصيدة فتح الأحساء لابن عثيمين أنموذجاً، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل العلوم الإنسانية والإدارية، المجلد ١٩، (العدد ٢)، الأحساء، ٢٠١٨م، ص.١٠٤.

(٤) ستيتكفيتش، القصيدة والسلطة، ص.53.

فكرة نقل الولاء السياسي للممدوح ويعيد التأكيد على ولاء الشاعر للملك فاروق (المستقبل المحتمل).

ويقوم البيت الختامي كذلك بدور حماية الشاعر في حال فشلت محاولات الوئام بين الملكين والمملكتين. فالتصريح باسم الملك فاروق (المستقبل المحتمل) في هذا البيت يدل على حضوره في ذهن الشاعر (المرسل) وهو يكتب نصه (الرسالة). فقد ألَّف العقاد قصيدته في مرحلة تأسيس علاقة إيجابية بين البلدين، وجاءت القصيدة داعمة لأهداف هذه المرحلة التاريخية. ولو فشلت تلك المحاولات كما فشلت من قبل في عهد الملك فؤاد الأول لتحول المدح الذي تقوم عليه القصيدة إلى عبء شعري وسياسي على الشاعر؛ لما فيه من ثناء على منافس للملك فاروق الذين يدين له الشاعر بالولاء. من هنا، يربط هذا البيتُ الذي أثنى فيه العقاد على الملك فاروق –بطريقة غير مباشرة– القصيدةَ بسياق تاريخي محدد سعى فيه الملكان عبد العزيز وفاروق إلى تقوية العلاقة بينهما، ولا يمكن فصل القصيدة عن هذا السياق التاريخي حتى لو تغيرت العلاقات السياسية بين الملكين في المستقبل.

ويمكن أن يفسر حديث الشاعر (المرسل) عن رجائه من الملكين في نهاية القصيدة في مستويين: سياق خاص وشخصي يبحث فيه الشاعر عن جائزة كعادة كثير من شعراء المدح في التاريخ العربي القديم،[1] وسياق عام

(1) Suzanne Stetkevych, The Mantle Odes: Arabic Praise Poems to the Prophet Muhammad, Indiana University Press, 2010, Bloomington & Indianapolis, p. 65; Mustafa Binmayaba, "From Expulsion To Readmission: Ibn ʾ Abī Ḥafṣa's Rhetorical Technique at The ʿ Abbāsid Court," *Journal of Arabic and Islamic Studies* 15 (2015), p. 104.

وقومي يبحث فيه الشاعر عن المجد لأمته. وما يرجح التفسير المرتبط بالسياق العام أن العقاد قد دعا إلى تجنب المدح الذي يرتكز على الفرد ولا يتجاوزه إلى الأمة، ورفض -في هذا السياق- ما وصفه بـ"سذاجة المدح العربى التى لا تشبهها سذاجة مروية في الآداب الأوربية".[١] ومن السياق التاريخي للقصيدة ومضمونها يتضح أن العقاد كان معجباً بالملك عبد العزيز، وأكد ذلك في أكثر من موضع.[٢]

وإذا كانت عملية الاتصال تنتهي برد الفعل العكسي (التغذية العكسية) من المستقبل (الممدوح) إلى المرسل (الشاعر) لإرسال رسالة مقابلة فإن رد فعل الملك عبد العزيز على القصيدة حمَل رسالة إعجاب بها. ومع أن العقاد لم يشر في قصيدته لرغبته في الجائزة فقد تلقى الملك عبد العزيز قصيدة العقاد كهدية، ورد عليها بهدية مقابلة بعد إلقاء القصيدة، حيث رُوي "أن الملك عبد العزيز أهدى العقاد صورة له كتب عليها بخطه "بسم الله الرحمن الرحيم، من الواثق بالودود عبد العزيز آل سعود للعقاد"".[٣] وتحمِل الهدية

(١) العقاد، ساعات بين الكتب، ص.٤٤٦.

(٢) عبّر العقاد عن إعجابه بشخصية الملك عبد العزيز في أكثر من موضع خارج سياق هذه المناسبة من مثل قوله في أحد مؤلفاته: "عصرنا هذا عصر الزعماء غير مدافَعٍ بين جميع عصور التاريخ. فقد شهدنا فيه كل ضرب من ضروب الزعامة على اختلاف شروطها ومقوماتها ... وشهدنا زعماء كابن سعود يجمعون أكبر ما يجتمع في أبناء قومهم من الصفات، فيفهم الناس أن ابن سعود أكبر العرب لأنه أكبر عربي في طبائع الأمة العربية كما نعرفها الآن" (عباس محمود العقاد، هتلر في الميزان، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٣م، ص.٩٧).

(٣) محمد بن عبد العزيز الراشد ومجموعة من الباحثين، زيارة الملك عبدالعزيز آل سعود لمصر التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠١٥م، ص.٩٨؛ ميرزا الخويلدي، كتاب «الرحلة الملكية إلى مصر»... حسّ الصحافي وقلم الأديب، صحيفة الشرق الأوسط، الخميس-١٤ شهر ربيع الأول ١٤٤٠ هـ-٢٢ نوفمبر ٢٠١٨م رقم العدد [١٤٦٠٤].

في سياق قصيدة المدح السياسي أبعادًا سياسية وأدبية تضاف إلى أبعادها الطقوسية والاجتماعية المتعلقة بـ"تبادل الهدايا"،[١] وذلك أن "التبادل الاحتفالي بين القصيدة والجائزة هو طقس للإجلال والولاء يؤكد سلطة الحاكم كما يؤكد الرابطة بين الحاكم والمحكوم. كذلك فإن منح الجائزة يكمل التبادل الطقوسي".[٢] وكما تدل القصيدة على إعجاب العقاد بسياسة الممدوح فإن الهدية –في المقابل– تدل على إعجاب الممدوح بالقصيدة وبموهبة العقاد الشعرية.

(١) استعارت ستيتكفيتش مصطلح "تبادل الهدايا" من مارسيل ماوس لتبين من خلاله أن قصيدة المدح تقوم مقام الهدية، فالمادح مهدٍ، والممدوح مُهدًا إليه، وعملية المديح التي ترتكز على ثلاثية المادح والممدوح والقصيدة تشبه عملية الإهداء التي ترتكز على ثلاثية المهدي والمهدى إليه والهدية في أن كلتا العمليتين تقومان على الواجبات الثلاث: "الإعطاء، القبول، الإعطاء المقابل" (ستيتكفيتش، القصيدة والسلطة، ص.٢٤٣).

(٢) ستيتكفيتش، القصيدة والسلطة، ص.١٢١.

الخاتمة

وبعد تحليل لقصيدة "أسد العرين" في ضوء السياق التاريخي الذي كتبت فيه القصيدة يمكن استخلاص عدد من النتائج أهمها:

١- استطاع العقاد -إلى حد كبير- أن يلتزم في قصيدته بالمعايير المرتبطة بنص قصيدة المدح التي أشار إليها في مؤلفاته وأن يبتعد في قصيدته عن المبالغات المذمومة التي تنافي المنطق.

٢- نجح العقاد في أن يلتزم بمعيار الذاتية الذي وضعه شرطاً لقصيدة المدح، فعبَّر عن إعجابه الصادق بالممدوح، ولم يكن مضطرًا ليمدح الملك خلال مرافقته له في الرحلة البحرية.

٣- تضمنت القصيدة عددًا من صفات المديح التي يتجاوز تأثيرها الإيجابي السياق الخاص المرتبط بشخصية الممدوح والمادح ليصل إلى السياق العام المتعلق بمجتمع الممدوح ومواطنيه في جزيرة العرب وأمتيه العربية والإسلامية كتصويره الملك بأنه سبب في رخاء مواطني مملكته وفي عودة الحياة إلى أمم أخرى.

٤- نجح العقاد في اختيار الألفاظ والمعاني التي تحقق غرض مدح الملك عبد العزيز دون أن يخل بولائه السياسي للملك فاروق أو يضع الأخير في منزلة دون منزلة الممدوح.

٥- حولت قصيدة "أسد العرين" مناسبة عيد جلوس الممدوح على العرش من ذكرى سنوية متكررة إلى حدث تاريخي يمتد تأثيره إلى جميع الأقطار العربية والإسلامية.

٦- استطاع العقاد أن يتغلب على التحديات المرتبطة بعناصر الاتصال في قصيدته والمتمثلة في الرسالة (القصيدة)، والمرسل (الشاعر)، والمستقبل (الملك عبد العزيز)، والسياق العام، والشفرة (الإلقاء الشفهي المباشر) إضافة إلى المستقبل المحتمل (الملك فاروق) من خلال مراعاة كل هذه العناصر في القصيدة.

المراجع

المراجع العربية:

- ابن الرومي، عباس محمود العقاد، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م.
- الاستخدام الشعري للغة بين التطفل والإنجاز قصيدة فتح الأحساء لابن عثيمين أنموذجاً، مصطفى محمد تقي الله بن مايابا، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل العلوم الإنسانية والإدارية، المجلد ١٩، (العدد ٢)، الأحساء، ٢٠١٨م.
- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط.١٥، ٢٠٠٢م.
- دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.
- الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية: دور الأحساء والعراق في استراتيجية الدولتين، محمد بن سليمان بن عبد العزيز خضيري، دار الصولتية للتربية، الرياض، ٢٠٠٠م.
- ديوان بعد الأعاصير، عباس محمود العقاد، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م.
- ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري، طرفة بن العبد، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر دار الثقافة والفنون، بيروت.
- الديوان في الأدب والنقد، عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، دار القلم، بيروت، ٢٠١٩م.
- ديوان النابغة الذبياني، النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.٣، ١٩٩٦م.
- ذو النورين، عباس محمود العقاد، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٣م.

- رجال عرفتهم، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.
- رجال ومواقف، محمد علي رفاعى، مطابع دار الشعب، القاهرة، ط.١، ١٩٧٧م.
- الرحلة الملكية السعودية إلى مصر، عبد الحميد حامد مشخص، صفر ١٣٦٥هـ/يناير ١٩٤٦م، أعده للنشر: فهد بن عبد الله السماري، محمد بن عبد الرحمن الربيع، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠١٨م.
- زيارة الملك عبدالعزيز آل سعود لمصر التاريخية، محمد بن عبد العزيز الراشد ومجموعة من الباحثين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠١٥م.
- ساعات بين الكتب، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.
- سيرة ومسيرة، صالح بن بكر الطيار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٢٠م.
- شرح ديوان أبي تمام، الأعلم الشنتمري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ٢٠٠٤.
- شرح ديوان أبي تمام، إيليا الحاوي، الدار العالمية للطباعة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨١م.
- شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
- شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضي، عباس محمود العقاد، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٣٧م.
- الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.
- عباس العقاد بين اليمين واليسار، رجاء النقاش، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٨م.

- العقد الفريد، ابن عبد ربه القرطبي، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٩م، بيروت.
- القصيدة العربية وطقوس العبور: دراسة في البنية النموذجية، سوزان ستيتكفيتش، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ج.١ م.٦٠، ربيع الثاني ١٤٠٥هـ يناير ١٩٨٥م.
- قصيدة "قاهر الصحراء"، عباس محمود العقاد، الفيصل مجلة ثقافية شهرية، ع.(١٢٨)، صفر ١٤٠٨هـ، السنة الحادية عشرة، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٧م.
- القصيدة والسلطة: الأسطورة الجنوسة والمراسم في القصيدة العربية الكلاسيكية، سوزان ستيتكفيتش، ترجمة: حسن البنا عز الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م.
- كتاب «الرحلة الملكية إلى مصر»... حسّ الصحافي وقلم الأديب، ميرزا الخويلدي، صحيفة الشرق الأوسط، الخميس-١٤ شهر ربيع الأول ١٤٤٠ هـ-٢٢ نوفمبر ٢٠١٨م رقم العدد [١٤٦٠٤].
- المتلقي الفعلي وتأثيره في بنية النص الأدبي: تحليل لرائية جرير في ضوء شعرية التفاوض، مصطفى محمد بن مايابا، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، ع.٣٢، ص-ص. 245 – 231.
- مطالعات في الكتب والحياة، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.
- مع عاهل الجزيرة العربية، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- مقالات ممنوعة، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.
- الملك عبد العزيز في مرآة الشعر، عبد القدوس الأنصاري، تقديم: محمد مريسي الحارثي، جامعة أم القرى، ط.٣، (١٤١٩م)، ص.ص ٦٣-٦٥.

- النظرية النقدية: نظرية الاتصال الأدبي وتحليل الخطاب، مراد عبد الرحمن مبروك، دار الأدهم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥م.
- هتلر في الميزان، عباس محمود العقاد، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٣م.

المراجع الأجنبية:

- From Expulsion To Readmission: Ibn ʾAbī Ḥafṣa's Rhetorical Technique at The ʿAbbāsid Court, Mustafa Binmayaba, Journal of Arabic and Islamic Studies 15 (2015).
- The Mantle Odes: Arabic Praise Poems to the Prophet Muhammad, Suzanne Stetkevych, Indiana University Press, 2010, Bloomington & Indianapolis, p. 65;

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	١٨٤٤
٢-	Abstract	١٨٤٥
٣-	مقدمة:	١٨٤٦
٤-	طبيعة التحديات النفسية المرتبطة بقصيدة المدح في رؤية العقاد:	١٨٤٩
٥-	تحليل القصيدة	١٨٥٩
٦-	السياق التاريخي للقصيدة:	١٨٦٠
٧-	مناسبة القصيدة:	١٨٦٤
٨-	تحليل لأقسام القصيدة:	١٨٦٦
٩-	١- مدخل إلى المدح:	١٨٦٧
١٠-	٢- الدعاء والمباركة:	١٨٧٠
١١-	٣- الاحتفال بالذكرى:	١٨٧٢
١٢-	٤- المدح والتأييد:	١٨٧٦
١٣-	٥- الرجاء والأمل:	١٨٧٩
١٤-	الخاتمة	١٨٨٣
١٥-	المراجع	١٨٨٤
١٦-	فهرس الموضوعات	١٨٨٨

تم بحمد الله